مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣

أثر حقبة السبي البابلي على القومية اليهودية

رشا علي عبدالله الشهراني(*)

الملخص

١- تعد اليهودية هي أكثر الديانات فرقة واختلافًا على مر تاريخها الطويل، والتي دبت فيهم بعد موت موسى حتى زمن سليمان، والذي تسبب في سبيهم من قبل الآشوريين والكلدانيين، بيد أن انقسامهم إلى طوائف سياسية كان أسبق من انقسامهم إلى فرق دينية.

٢- لقد كانت آثار السبي فيما تعلق بالفرقة والاختلاف بين اليهود ظاهرًا جدًا في انقسامهم حول اتجاهين الأول يدعو للتسليم بالواقع والآخر يعمل جاهدًا لصالح القومية اليهودية.

٣- مع عمق الخلاف اليهودي وقدمه إلا أن الفرق اليهودية لم تظهر إلا أثناء حقبة السبي البابلي، وشمل الخلاف الكثير من الأصول العقائدية والمصادر والكتب الدينية والشعائر التعبدية.

٤- في ظل حقبة السبي البابلي نجح اليهود في تأسيس العديد من المدارس الدينية البديلة كبيت المدراش أو بيت الكنيست والتي ساهمت بشكل كبير في تشكيل الديانة اليهودية وصياغة التوراة والتلمود وسائر التشريعات اليهودية.

٥- كان من آثار حقبة السبي على الفرق والمدارس الدينية التمسك بالعقيدة القديمة، والعمل على تأسيس الكنيس اليهودي للعبادة.

٦- من أهم آثار السبي المتعلقة بمصادر اليهودية وخاصة اليهودية أنه اليهودية الحالية عبارة عن مجموعة الأسفار التي كتبها رجال المجمع الأكبر الذي تأسس عقب العودة من السبي البابلي، فيما تضمنت الكثير من التراث البابلي الذي تعرفوا عليه في بابل كقصة الخليقة والطوفان إلخ.

٧- لم يكن التملود أفضل حالاً من التوراة فقد حوت وتضمنت الكثير من القوانين والشرائع البابلية، وتجاوز الاقتباس مداه حين أدرجوا الأحكام المتعلقة بالصدقات الزراعية والحيوانية.

٨- في ضوء التأثير البابلي على الكتابات اليهودية، تعد المزامير صورة صادقة للآثار البعيدة التي اقتبسها العبريون مستقرين أو مسبيين من مصر أولاً وبابل وآشور ثانيًا.

Abstract

1- Judaism is the most divided and different religion throughout its long history, which spread among them after the death of Moses until the time of

(*) كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم عقيدة ومذاهب معاصرة

Solomon, which caused their captivity by the Assyrians and Chaldeans, but their division into political sects preceded their division into religious sects.

2- The effects of the captivity with regard to division and disagreement among the Jews were very apparent in their division around two directions, the first calling for recognition of reality, and the other working hard in favor of Jewish nationalism.
3- Despite the depth and antiquity of the Jewish dispute, the Jewish sects did not appear except during the era of the Babylonian captivity, and the dispute included a lot of doctrinal origins, sources, religious books, and devotional rites.
4- During the era of the Babylonian captivity, the Jews succeeded in establishing many alternative religious schools, such as the House of the Midrash or the House of the Knesset, which greatly contributed to the formation of the Jewish religion and the drafting of the Torah, the Talmud and other Jewish legislation.
5- One of the effects of the era of captivity on the religious sects and schools was adherence to the old faith, and work to establish the Jewish synagogue for worship.
6- One of the most important traces of the captivity related to the sources of Judaism, especially Judaism, is that the present Judaism is a collection of books written by the men of the Great Council that was established after the return from the Babylonian captivity, while it included much of the Babylonian heritage that they became acquainted with in Babylon, such as the story of creation, the flood, etc.
7- The Talmud was not better than the Torah, as it contained and included many Babylonian laws and laws, and the quotation exceeded its scope when they included the provisions related to agricultural and animal alms.
8- In light of the Babylonian influence on the Jewish writings, the psalms are a true picture of the distant effects that the Hebrews borrowed from Egypt first, Babylon and Assyria second.

مقدمة:

لقد حظى يهود يهوذا في السبي البابلي بمكانة لم ينلها يهود الشمال في السبي الآشوري، لا سيما وأن البابليين بقيادة نبوخذ نصر قد أعطوا الحياة جانبًا كبيرًا من الحرية في المجالات الحياتية المختلفة، وفي ذلك يقول الأستاذ ناجي نقلا عن المؤرخ لودس: "لقد استفاد اليهود كثيرًا من المميزات التي منحها لهم الكلدان، وأصبح في صفوفهم الكثير ممن تمرسوا على أساليب الحكم والسياسة، وممن أتقنوا فنون الحرب والصناعات المختلفة، وعظم شأنهم ولولا أنبياء المهجر الذين لا ينفكون عن تنبيه اليهود إلى أخطار الانصهار ومساوئ التمرد على إلههم يهوه، وحثهم على ضرورة التفكير في العودة إلى يهوذا فلسطين أمثال النبي حزقيال لانصهر اليهود

في الشعب الكلداني انصهارًا تامًا بسبب ما توفر لهم من رغد العيش والأمن والاستقرار والثراء العظيم"[١]، ذلك الثراء الذي مكن اليهود من المساهمة به في سبيل العودة، وتفرع عن ذلك: فكرة اليهود حول قومية الإله، وكذلك قومية الشعب اليهودي، وأخيرًا رفضهم لفكرة الاندماج للحفاظ على القومية.

أولا: قومية الإله.

مع تأثر اليهودية بالديانات الوثنية، ووقوع اليهود في الشتات تحت تأثير ديانة بلاد ما بين النهرين، بدأ في الظهور نوع من التفكير القومي الذي حاول أن يخصص الإله الواحد لبني إسرائيل، ويركز على عهد خاص، وخلاص خاص، ويربط الإله بالقوم في رباط خاص، فأصبح إلهًا قوميًا تهمه شئون جماعته التي لا تعبد إلا هو، ولا تسمح لغيرها بعبادته، فسرى بين اليهود اعتقاد بالإله الخاص لبني إسرائيل دون البشرية عامة، فيما تتضح هذه الخصوصية في عقيدة العهد المقطوع بين الإله وجماعة الرب، فالعهد عهد خاص بين الإله الخاص والشعب الخاص، ولا يدخل في هذا العهد من لا ينتمي إلى هذا الشعب الخاص[٢].

وفي هذا الصدد "يؤكد المؤرخون أنه في المنفى في بابل بعد عام ٥٨٦ ق.م تحول الدين العبري إلى الدين اليهودي، أصبح الإله إله شعب الله المختار، وهو يتدخل لحماية شعبه فحسب، بل لإذلال وإخضاع شعوب العالم لشعبه المختار والاستمرار في استعبادهم على مر العصور"[٣].

"وكان هناك اتجاهان دينيان واضحان بين اليهود في السبي وأثناء الإعداد للعودة: اتجاه له طابع دنيوي، والآخر له طابع كهنوتي، فالاتجاه الأول قريب من قبول الأمر الواقع في المنفى، والثاني أكثر تعلقا بالقومية، وقد تفاعلت اليهودية بين الاتجاهين"[٤].

ومن هذا المنطلق قام اليهود بتصوير (يهوه) الإله وكأنَّه إله بني إسرائيل فقط وليس ربًّا للعالمين؛ فهم شعب الله المختار وأبناؤه وأحبَّاؤه، والنَّاس غيرهم لا ربَّ لهم، وفي ذلك يقول ربنا ﷻ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٥].

---

(١) المفسدون في الأرض: الأستاذ ناجي، ص٧١.

(٢) تاريخ الديانة اليهودية: ص٢٥٦، ٢٥٧، بتصرف واختصار.

(٣) المخططات التلمودي: أنور الجندي، ص٢٠

(٤) اليهود في العالم القديم: مصطفى كمال عبد العليم، ص١٧١.

(٥) سورة المائدة، الآية: (١٨).

ثانيًا: قومية الشعب المختار.

ومع تعرضهم للسبي البابلي أعمل فيهم نبوخذ نصر القتل والتشريد، ونهب الهيكل، وهدمه، وأحرق التوراة، والقصور وسبى الذراري، ولما فقد اليهود دولتهم وكتابهم لم يكن لدى اليهود خيار غير الالتفاف حول الأحبار والرهبان، فلتمسوا منهم التعاليم والأحكام، ورأى الأحبار أن السبيل الأمثل للحفاظ على شعب اليهود من الانحلال والذوبان في غياهب الشعب البابلي ولما فقد اليهود دولتهم التفوا حول أحبارهم يتلمسون منهم الأحكام والتعاليم ورأى الأحبار أن السبيل الأمثل للمحافظة على اليهود من الانحلال والذوبان في الشعب البابلي ومجتمعاته القوية وبخاصة بعد أن شهدوا ذوبان أسباط المملكة الشمالية قد ذابوا في الشعوب لا شك أن هذا المصير قد روع الأحبار فدفعهم ذلك إلى أن ينفثوا في روعهم نقاء الجنس وامتيازه وأن الله اختارهم لمهمه عظيمة وأنهم العنصر المميز في هذه الأرض ومن ثم نظم الأحبار حياتهم وحددوا علاقاتهم فيما بينهم وكانت هذه التشريعات تدور في دائرة القبيلة والكهنة ولا تتعداهم إلى غيرهم من الشعوب ولم يكونوا يشعرونهم بأي التزامات أخلاقية اتجاه الشعوب الأخرى.

يقول عن هذه العنصرية وسببها الحبر المهتدي السموأل بن يحيى: "وكان أئمتهم قد حرموا عليهم مؤكلة الأجانب أعني من كان على غير ملتهم وحضروا عليهم أكل اللحمان من ذباحه من لم يكن على دينهم لانهم اعني علماؤهم وأئمتهم اعلموا أن دينهم لا يبقى عليهم في هذه الجروه مع كونهم تحت الذل والعبودية الا إذا صدوهم عن مخالفه من كان على غير ملتهم وحرموا عليهم مناكحتهم والأكل من ذبائهم ولم يمكنهم المبالغة في ذلك إلا بحجه يبتدعونها من انفسهم ويكذبون بها على الله تعالى واما قاله أيضا فقد تبين مما ذكرناه أن الحخاميم هم الذين شدوا على هذه الطائف الدينيه وضيقوا عليهم المعيشة والأسر فقصدوا بذلك مبالغتهم في مضاد مذاهب الأمم حتى لا يختلط بها بهم إلى خروجهم من دينهم حياه اليهود تنظيم دقيقة هذه العنصرية جيلا بعد جيل حتى تكرست في ذاكرة هذا الشعب أصبحت له جبله لا يستطيع التخلي عنها وكان لابد من جهة أخرى أن يدغدغه الأحبار نفوسهم ورديه عن عودتهم الى فلسطين موطن اللبن والعسل كان هذا الوعد ثمنا لتلك القسوه عليهم من قبل احبابهم ولكن كان وعد لم يحدد بتاريخ"(٦).

ثالثًا: رفضهم لفكرة الاندماج حفاظًا على القومية اليهودية.

وفيما يتعلق بالقومية اليهودية فقد كان للسبي البابلي أثره على الحياة اليهودية فيما يتعلق

(٦) أثر عزرا في الديانة اليهودية ص١٢٠، ١٢١

بفكرة القومية، ومن تأمل حال اليهود في فلسطين أو في آشور لتأكدت إليه فكرة الذوبان والانصهار داخل المجتمعات الأخرى، على العكس من حقبة السبي التي منعت اليهود من الانصهار في المجتمع البابلي إلا في حيز ضيق جدًا وقد تم تداركه على يد عزرا، والذي صرخ في جموع اليهود بأن الزرع اليهودي قد اختلط، بل لما فحص عزر الكاهن ومعه رجال معاونون هذا الأمر، وجدوا الكثير جدًا من اليهود قد اتخذوا لهم زوجات أجنبيات من بني الكهنهة ومن جميع أفراد الشعب اليهودي، ثم أخذ سفر عزرا يذكر أسماء رؤسائهم حتى إنه لا نكاد نجد قبيلة أو سبطًا لم يتخذوا لهم زوجات أجنبيات، فجاء ما نصه:

«فَاجْتَمَعَ كُلُّ رِجَالِ يَهُوذَا وَبَنْيَامِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي الثَّلاَثَةِ الأَيَّامِ، أَيْ فِي الشَّهْرِ التَّاسِعِ، فِي الْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، وَجَلَسَ جَمِيعُ الشَّعْبِ فِي سَاحَةِ بَيْتِ اللهِ مُرْتَعِدِينَ مِنَ الأَمْرِ وَمِنَ الأَمْطَارِ * فَقَامَ عَزْرَا الْكَاهِنُ وَقَالَ لَهُمْ: **إِنَّكُمْ قَدْ خُنْتُمْ وَاتَّخَذْتُمْ نِسَاءً غَرِيبَةً لِتَزِيدُوا عَلَى إِثْمِ إِسْرَائِيلَ** * فَاعْتَرِفُوا الآنَ لِلرَّبِّ إِلهِ آبَائِكُمْ وَاعْمَلُوا مَرْضَاتَهُ، وَانْفَصِلُوا عَنْ شُعُوبِ الأَرْضِ وَعَنِ النِّسَاءِ الْغَرِيبَةِ * فَأَجَابَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ وَقَالُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: كَمَا كَلَّمْتَنَا كَذلِكَ نَعْمَلُ * إِلاَّ أَنَّ الشَّعْبَ كَثِيرٌ، وَالْوَقْتَ وَقْتُ أَمْطَارٍ، وَلاَ طَاقَةَ لَنَا عَلَى الْوُقُوفِ فِي الْخَارِجِ، وَالْعَمَلُ لَيْسَ لِيَوْمٍ وَاحِدٍ أَوْ لاثْنَيْنِ، لأَنَّنَا قَدْ أَكْثَرْنَا الذَّنْبَ فِي هذَا الأَمْرِ * فَلْيَقِفْ رُؤَسَاؤُنَا لِكُلِّ الْجَمَاعَةِ. وَكُلُّ الَّذِينَ فِي مُدُنِنَا قَدِ اتَّخَذُوا نِسَاءً غَرِيبَةً، فَلْيَأْتُوا فِي أَوْقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ وَمَعَهُمْ شُيُوخُ مَدِينَةٍ فَمَدِينَةٍ وَقُضَاتُهَا، حَتَّى يَرْتَدَّ عَنَّا حُمُوُّ غَضَبِ إِلهِنَا مِنْ أَجْلِ هذَا الأَمْرِ * وَيُونَاثَانُ بْنُ عَسَائِيلَ وَيَحْزِيَا بْنُ تِقْوَةَ فَقَطْ قَامَا عَلَى هذَا، وَمَشُلاَّمُ وَشَبْتَايُ اللاَّوِيُّ سَاعَدَاهُمَا * وَفَعَلَ هكَذَا بَنُو السَّبْيِ. وَانْفَصَلَ عَزْرَا الْكَاهِنُ وَرِجَالٌ رُؤُوسُ آبَاءٍ، حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ، وَجَمِيعُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، وَجَلَسُوا فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ الْعَاشِرِ لِلْفَحْصِ عَنِ الأَمْرِ * وَانْتَهَوْا مِنْ كُلِّ الرِّجَالِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا نِسَاءً غَرِيبَةً فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ الأَوَّلِ * فَوُجِدَ بَيْنَ بَنِي الْكَهَنَةِ مَنِ اتَّخَذَ نِسَاءً غَرِيبَةً: فَمِنْ بَنِي يَشُوعَ بْنِ يُوصَادَاقَ وَإِخْوَتِهِ: مَعْشِيَّا وَأَلِيعَزَرُ وَيَارِيبُ وَجَدَلْيَا * وَأَعْطَوْا أَيْدِيَهُمْ لإِخْرَاجِ نِسَائِهِمْ مُقَرِّبِينَ كَبْشَ غَنَمٍ لأَجْلِ إِثْمِهِمْ * وَمِنْ بَنِي إِمِّيرَ: حَنَانِي وَزَبْدِيَا * وَمِنْ بَنِي حَارِيمَ: مَعْسِيَّا وَإِيلِيَّا وَشَمْعِيَا وَيَحِيئِيلُ وَعُزِّيَّا * وَمِنْ بَنِي فَشْحُورَ: أَلْيُوعِينَايُ وَمَعْسِيَّا وَإِسْمَاعِيلُ وَنَثَنْئِيلُ وَيُوزَابَادُ وَأَلْعَاسَةُ * وَمِنَ اللاَّوِيِّينَ: يُوزَابَادُ وَشِمْعِي وَقَلاَيَا، هُوَ قَلِيطَا، وَفَتَحْيَا وَيَهُوذَا وَأَلِيعَزَرُ ..... »[٧]، "ونستطيع أن نقول أنه أيضا قد حدث اختلاطًا كبيرا بزواج يهوديات بجنسيات أخرى من غير اليهود في فترة السبي البابلي على نحو ما حدث من اختلاط كبير جدًا بسبب زواج اليهود بغير يهوديات"[٨].

٧() سفر عزرا الإصحاح العاشر .

٨() اليهودية التبشيرية في الكتب المقدسة وإلى اليوم: أحمد محمد محمود حسن، مكتبة النهضة، مصر، ص٢٠.

المراجع والمصادر

١- أبحاث في الفكر اليهودي: حسن ظاظا، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار القلم، بيروت.

٢- أبحاث في اليهودية والصهيونية: د/ أحمد سوسة، ط١، ٢٠٠٣م، دار الأمل، الأردن.

٣- الأثر العربي في الفكر اليهودي: إبراهيم موسى هنداوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة . مصر.

٤- الأحكام السلطانية: للقاضي أبي يعلى ابن الفراء، تصحيح: محمد حامد الفقي، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥- الأخبار الطوال: أحمد الدينوري، تح: أحمد الطباع، ط١، ١٩٦٠م، دار إحياء الكتب العربية، وزارة الثقافة، مصر.

٦- الأديان في العالم: د/ سعدون الساموك، د/ هدى على الشمري، ط١، ٢٠١٦م، دار المناهج، الأردن.

٧- الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها: د/ إبراهيم محمد إبراهيم، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، مطبعة الأمانة، شبرا، مصر.

٨- أسباب نزول القرآن: للواحدي النيسابوري، تح: عصام الحميدان، ط٢، ١٤١٢هـ، دار الإصلاح، السعودية.

٩- أسرار الآلهة والديانات: أ. س. ميغوليفسكي، ترجمة: حسان مخائيل اسحق، ط٤، ٢٠٠٩م، دار علاء الدين، سوريا، دمشق.

١٠- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة: عبد الواحد وافي، ط١، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، مكتبة نهضة مصر.

١١- الإسلام والأديان دراسة مقارنة: د/ مصطفى حلمي، ط١، ٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢- إشعيا نبي بني إسرائيل وأزمة الكيان اليهودي القديم: د/ محمود أحمد المراغي، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان.

١٣- أشهر الديانات القديمة: لطفي وحيد، ط١٩٩٣م، مكتبة معروف، الإسكندرية، مصر.

١٤- أشهر العقائد الدينية في العالم القديم: أحمد سويلم، ط١، ٢٠١١م، دار العالم العربي، مصر.

١٥- الأعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء عليهم السلام: د/ ف. عبد الرحيم، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، دار القلم، بيروت.

١٦- أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية: د/خليل عبد الرحمن، ط٢، ٢٠٠٨م، روافد للثقافة والفنون، دمشق.